

ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة

تأملوا في هذه الآيات المباركات من سورة الشعراء: (إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنْ نَبَىٰ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا) (كَذَّبَتْ بَنَاتُ عَادٍ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنْ نَبَىٰ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا) (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنْ نَبَىٰ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا) (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنْ نَبَىٰ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا) [261]. وهذه الآيات بمجموعها تؤكد أن دعوة الأنبياء (عليهم السلام) تدور حول هذين المحورين: التقوى والطاعة. ولا يمكن أن تكون الطاعة غير الطاعة السياسية؛ فإن هذه طاعة أخرى غير الطاعة السياسية، ترتبط بمحور التقوى، وهو المحور الأول من هذين المحورين. إذن، فالطاعة السياسية عنصر مقوم وأساسي في بناء الأمة، وتعدّ الطاعة - في الحقيقة - ضرب من التمرد والخروج على الولاية والسيادة في الأمة، وهو شيء في مقابل الطاعة، وضد الطاعة. والآيات الكريمة بمجموعها تؤكد أن الأمة الواحدة تتحقق - بعد وحدة العقيدة - بوحدة الطاعة ووحدة النظام، وهذان هما العنصران المقومان للأمة: (العقيدة) و (النظام السياسي). وتعدّ الطاعة بمعنى تعدّد النظام السياسي، وهو بمعنى انشطار الأمة وتعدّدها، وليس لانشطار الأمة وتعدّدها معنى آخر غير هذا المعنى؛ فإن الانتماء إلى عقيدة أخرى غير التوحيد يخرج صاحبه من هذه الأمة إلى الأمة الكفر، والقرآن يقول: إن